منظمة العمل العربية

النـدوة القومية حول
"هجرة وتنقل العمالة العربية لدعم فرص التشغيل
تونس 19-2014/11/21

"سياسات وقضايا الهجرة في إطار الشراكة الأورومتوسطية "

د. علي حمدي
- تونس -

المحتـــــــوى

الصفحة

مقـــــدمة 3

I. **المعطيات الإجمالية للهجرة الدولية :** 4

1. حركة الهجرة نحو الوجهات التقليدية : الاتحاد الأوروبي 4
2. حركة الهجرة نحو الوجهات الجديدة : كندا وأستراليا 7

II. **العوامل الموضوعية الأوروربية المتعلقة بالإقبال المتزايد على الكفاءات**..... 9

1. العوامل المتعلّقة بالعولمة 9
2. العوامل الموضوعية المتعلّقة بالتركيبة السكانية للمجتمعات الأوروبية 9

III. **السياسات الجديدة في مجال الهجرة في الإتّحاد الأوروبي** 12

IV. **الانعكـــاسات غير المتكافئة لهجرة العمالة الماهرة في إطار الشـــراكة الأورومتوسطية** 16

1. الانعكاسات الإيجابية للهجرة على بلدان الاستقبال 16
2. الانعكاسات السلبية للهجرة في منظور بلدان الإرسال 17
3. الانعكاسات السلبية للهجرة إلى أوروبا على التنمية في بلدان الإرسال 20

V. **الانعكـــاسات السلبية الأخرى لاتفاقيات الشراكة الأورومتوسطية على مستوى التنمية** 21

1. على المستوى الإجمالي 22
2. على المستوى النوعي 23
3. على المستوى القطاعي 23
4. على مستوى الاستثمارات الأجنبية الأوروبية 23
5. على مستوى التكامل جنوب/جنوب 24

"الآثار السلبية والانعكاسات الأخرى
لهجرة العمالة الماهرة والكفاءات العربية
المؤهّلة على عمليات التنمية في الدول العربية"

مقـــــدّمة :

تعدّ الهجرة تقليديا من القنوات الهامّة للتخفيف من البطالة إلى جانب كونها مصدرا من مصادر العملة الصعبة عن طريق تحويل مدّخرات المهاجرين للمساهمة في تمويل التنمية. وإضافة إلى ذلك فإنّ للهجرة في مفهومها الحديث عائدات استراتيجية اقتصاديا ومعرفيا وتكنولوجيا كما يتجلّى ذلك من مختلف تجارب البلدان الصناعية الجديدة في شرق آسيا. إلاّ أنّ السياسات الجديدة للهجرة في سياق اتّفاقيات الشراكة الأورومتوسطيّة أفرزت سلبيات مباشرة تؤثّر على مستقبل التنمية في بلدان الضفّة الجنوبية للمتوسّط.

وتركيزا على هذا الجانب، تتعرّض هذه المداخلة إلى المحاور التالية :

I. المعطيات الإجمالية للهجرة الدولية

II. العوامل الموضوعية الأوروبية المتعلّقة بالإقبال المتزايد على الكفاءات المهاجرة

III. السياسات الأوروبية الجديدة في مجال الهجرة في ضوء الشراكة الأورومتوسطيّة

IV. الانعكاسات غير المتكافئة لهجرة العمالة في إطار الشراكة الأورومتوسطيّة

V. الانعكاسات السلبية الأخرى لاتفاقيات الشراكة الأورومتوسطيّة

Ali_hamdy

I. المعطيات الإجمالية للهجرة الدولية :

تعدّ حركة الهجرة من سمات التاريخ البشري على مرّ العصور. فهي مسألة قديمة حديثة زادت معدّلاتها في عالم اليوم بصورة ملحوظة لعديد العوامل والظروف. ويتبيّن من خلال تقـــرير الأمم المتّحـــدة لسنة 2010 أنّ حجم المهاجرين في العالم يقـــدّر بما يزيد عن 200 مليون شخص منهم 22 مليون عربي. وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ ثلثي المهاجرين في العالم انتقلوا من بلدان نامية إلى بلدان متقدّمة والثلث المتبقّي بين بلدان نامية في ما بينها. وتشير مختلف التقارير إلى أنّ المتغيّرات الدولية وعولمة الاقتصاد والضغوطات التي يمارسها القطاع الخاص على الحكومات والأوضاع الديمغرافية في البلدان المتقدّمة ستؤدّي إلى مزيد من الانفتاح في مجال الهجرة على الرّغم من التشريعات الحالية الصّارمة.

وبالرغم من مؤشّرات تزايد الهجرة فإنّ البيانات المتعلّقة بها غير دقيقة وغير محيّنة وتختلف من مصدر إلى آخر لأسباب تتعلّق بالنظم الإحصائية ولأسباب سياسية في بعض الأحيان.

1. حركة الهجرة نحو الوجهات التقليدية : الإتحاد الأوروبي :

استقبلت بلدان الإتحاد الأوروبي (27) سنة 2010 أربعة (4) ملايين مهاجر يتـــــوزّعون كما يلي :

- الهجرة الأوروبية/الأوروبية : 1.8 مليون (45 %) ؛
- الهجرة المتأتيّة من بلدان غير أوروبية : 2.2 مليون (55 %).

ويشير جهاز الإحصائيات الأوروبية (Eurostat) إلى أنّ البلدان الأكثر استقطابا للهجرة (مواطنون أوروبيون وأجانب) خلال سنة 2010 : إسبانيا (80.000)، ألمانيا (558.000)، بريطانيا (451.000)، إيطاليا (393.000) وفرنسا (182.000) وهو ما يمثّل 60 % من مجموع الوافدين على الإتّحاد الأوروربي سنة 2010.

حركة الهجرة في

أهمّ بلدان الإتّحاد الأوروبي – 2010

	مجموع المهاجرين	المواطنون الأوروبيين (%)	المواطنون غير الأوروبيين (%)
بلجيكا	68800	51	49
دنمارك	34300	49	51
ألمانيا	558500	57	43
إيرلندا	84400	77	23
اليونان	86700	21	79
إسبانيا	80300	38	62
فرنسا	182400	–	–
إيطاليا	392800	26	74
هولندا	67700	47	53
النمسا	85400	53	47
البرتغال	27700	16	84
السويد	80400	32	68
بريطانيا	451700	31	69
النرويج	37400	56	44
سويسرا (غير عضو في الاتّحاد الأوروبي)	107200	62	38

المصدر : Eurostat –.2011

وتفيد المعطيات المتوفّرة في حالة فرنسا أنّه بالرغم من القيود الموضوعة على الهجرة فإنّ عدد المهاجرين في تزايد مستمرّ. مع الإشارة إلى أنّ الهجرة المتأتّية من التجمّع العائلي لا تمثّل في المعدّل العام إلاّ 19.5 % من مجموع المهاجرين إلى فرنسا.

تطوّر عدد المهاجرين إلى فرنسا

2009-2004

السنوات	**2004***	**2005***	**2006***	**2007***	**2008**	**2009****
عدد المهاجرين	103462	120352	132017	134123	–	182400
منهم تجمّع عائلي	23081	27267	26768	25420	–	28500

المصدر : * Haut Conseil de l'Immigration : Rapport statistique 2004-2009

** Eurostat, op.cit

Ali_hamdy

وتتّسم هذه الهجرة في السنوات الأخيرة بارتفاع معدّل المهندسين والكفـــاءات العليا في مختلف الاختصاصات الذين يمثّلون 40 % من مجموع المهاجرين إلى فرنسا في 2009. وأنّ نسبة الكفـــاءات الوسيطة من الفنيين والعمّال الماهرين مازالت مرتفعة حيث تمثّل 41 %. إلاّ أنّ الحاجة مازالت موجودة بالنسبة لليد العاملة العادية التي تمثّل 19 %.

ثقل المجموعات المهاجرة إلى فرنسا

2010-2000	
مناطق الإرسال	**الزيادة**
- إفريقيا جنوب الصحراء	+ 45 %
- آسيا	+ 40 %
- أوروبا الشرقية والوسطى	+ 37 %
- بلدان المغرب العربي	+ 17 %
- إيطاليا، إسبانيا وبولونيا	- 17 %

المصدر : INSEE-2011

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ ثقل الهجرة المغاربية إلى فرنسا تراجع بشكل حاد في الفترة 2000-2010 مقارنة بالفترة 1970-1999 وذلك بالنظر إلى ثقل المجموعات المهاجرة الأخرى.

وعموما يبلغ عدد المهاجرين المقيمين في بلدان الاتحاد الأوروبي سنة 2010، 30 مليون مهاجر أي ما يمثّل 6.6 % من مجموع السكّان. وتسجّل الهجرة في ألمانيا وفرنسا أعلى النّسب.

الهجرة المقيمة في أهمّ البلدان المستقبلة تقليديا للعمالة في الاتحاد الأوروبي - 2008

البلد	عدد السكان (1000)	المهاجرون (1000)	النسبة	أكبر المجموعات المهاجرة
ألمانيا	75190	7342	8.9	تركيا
فرنسا	63186	5000	7.9	الجزائر
اليونان	10.000	890	8.0	ألبانيا
إسبانيا	39426	2772	6.6	المغرب
هولندا	15556	702	4.3	تركيا
إيطاليا	55898	1990	3.4	ألبانيا

المصدر : Eurostat : Note statistique sur les populations non nationales dans les Etats membres de l'UE-2009

Ali_hamdy

وتجدر الإشارة إلى أنّ الولايات المتّحدة استقطبت في الفترة 2004–2008 حوالي 8 مليون مهاجر. وتمنحُ سنويا حوالي 675.000 تأشيرة خضراء للعمل. ويمثّل المهاجرون 7.7 % من مجموع السكان.

2. حركة الهجرة نحو الوجهات الجديدة : كندا واستراليا :

تعتبر كندا واستراليا تاريخيا من أهمّ البلدان المستقبلة للعمالة بحكم اتّساع المساحات الجغرافية وضعف الكثافة السكانية واحترام تنوّع الثقافات. وهو ما يفسّر الارتفاع المتواصل للهجرة نحو هاتين الوجهتين.

1.2 الهجرة إلى كندا :

بلغت تدفقات الهجرة إلى كندا في السنوات الأخيرة حوالي 1.5 مليون.

المهاجرون إلى كندا

(2006–2011)

السنوات	2006	2007	2008	2009	2010	2011	المجموع
عدد المهاجرين	239049	221350	235823	262240	251613	236758	1.436.863

Citoyenneté et immigration Canada-2012

وتجدر الملاحظة أن مقاطعة الكيباك (الفرنكوفونية) والتي يمكن أن تمثل وجهة مناسبة لمواطني دوّل المغرب العربي، تستقبل في المعدّل العام 17.7 % من مجموع المهاجرين، وتأتي في المرتبة الثانية بعد الانطاريو (52.7 %) من مجموع المقاطعات الكندية.

الهجرة الوافدة على الكيباك

السنـــوات	2006	2007	2008	2009	2010	2011	المجموع
المهاجرون	37586	39554	44242	43312	44681	45208	254583
النسبة (%)	16.4	17.9	18.8	16.5	17.8	19.1	17.7

2.2 الهجرة إلى أستراليا :

تشير بعض التقارير (Australie-immigration-2011) إلى أن استراليا تستقبل كلّ أربع دقائق مهاجرا جديدا.

فهي أرض الهجرة بامتياز تاريخيا حيث تجاوزت تيارات الهجرة الوافدة من البلدان التقليدية وهما بريطانيا وإيطاليا لتشمل في السنوات الأخيرة خاصة الهنود والصينيين ومواطني دوّل الشرق الأوسط. ويمثّل الآسيون عموما المجموعة السكانية الأكبر بعد الاستراليين البيض.

ويبلغ عدد المهاجرين في 2010 4.4 مليون منهم 96.000 هنود و70.000 صنيين. ويمثل ثقل الهجرة الإجمالية 23 % من مجموع السكان.

وتوفّر استراليا سنويا بين 90.000 و100.000 تأشيرة إقامة للعمل.

وبصفة إجماليّة تؤكّد المؤشرات البعد الدولي للتشغيل بصفة عامة وتشغيل الكفاءات العليا على وجه التحديد وخاصّة في الإعلاميّة وتكنولوجيا المعلومات التي تشهد منافسة شديدة في سوق العمال الدوليّة بين الولايات المتحدة وأوروبا واليابان. وتعتبر الهند من أكبر المنتجين لهذه الكفاءات حيث تصدر سنويا حوالي 200 ألف مختصّ.

II. العوامل الموضوعية الأوروبية المتعلقة بالإقبال المتزايد على الكفاءات :

1. العوامل المتعلّقة بالعولمة :

وفّرت العولمة زيادة في حركية كل عوامل الإنتاج باستثناء حركية العمال. ويرى الكثيرون أنّ منظّمة التجارة الدولية ركّزت نشاطها بما يحقّق مصالح دول الشمال بإقرار الانتقال الحرّ للسلع والخدمات وأغفلت مصالح الجنوب متجاهلة حرية انتقال الأفراد. وقد قصرت هذا الحقّ على رعايا الدول المتقدّمة في ما بينها.

وبالرغم من ذلك فإنّ جدلية العولمة ستؤدّي إلى سوق عمالة عالميّة أكثر مرونة وهو ما يمثّل إمكانيّات توظيف الكفاءات العليا لبلدان الجنوب في بلدان الشمال لمواجهة الطلب المتزايد للكفاءات وذلك باعتبار التهرّم السكّاني في البلدان المتقدمّة واستقرار التزايد الديمغرافي فيها بل وحتّى تراجعه على الأمد المتوسّط. علما وأن إنتاج الكفاءات انتقل ثقله تدريجيا –لعوامل ديمغرافيّة معروفة– من البلدان المتقدّمة إلى البلدان النامية حيث يقدّر البنك الدولي أنّ 60 % من الطلبة في العالم سنة 2008 في بلدان الجنوب.

وتشير تقارير منظّمة اليونسكو (تقرير 2009) إلى أنّ عدد الطلبة الإجمالي في العالم يقدّر بـــ 132 مليون منهم 33 مليون في أمريكا الشمالية وبلدان الإتّحاد الأوروبي و99 مليون طالب في البلدان الصاعدة والنامية أي أنّ نسبة الطلبة في بلدان الجنوب تمثّل 75 %.

2. العوامل الموضوعية المتعلّقة بالتركيبة السكانية للمجتمعات الأوروبية :

تقدّر حاجة أوروبا "الغربية" بـــ 30 مليون عامل أجنبي للفترة 2010–2030، منهم حوالي 10 ملايين خلال العشرية 2010–2020 من مختلف المستويات.

ومن أهمّ المجالات التي ستسجّل فيها أوروبا عجزا في المختصين هي مجالات تقنيات المعلومات والاتصال.

Ali_hamdy

توقّعات العجز في قطاع

المعلومات والاتّصال في بعض البلدان الأوروبية

ألمانيا	188.200
بريطانيا	81.200
فرنسا	67.000
إيطاليا	58.700
هولندا	50.000
بلجيكا	34.700
النمسا	29.100
إسبانيا	26.100
الدنمارك	8200
السويد	7000

المصدر : Etude IDC/Stratégie pour l'emploi dans la sté de l'information-2009

وتستند توقّعات هذا العجز في اليد العاملة إلى التراجع الحالي للنموّ الديمغرافي إلى 0.23 % في المعدّل العام لبلدان الإتحاد الأوروبي. علما وأنّ هذا التراجع في بعض البلدان يقترب من الصفر مثل ألمانيا والنمسا وإيطاليا وإسبانيا والتي لا تحافظ على نمو السكان النشطين إلاّ بالهجرة الوافدة. أمّا البلدان التي حافظت على نموّ ديمغرافي فهي فرنسا (0.4 %) وهولاندا (0.4 %) وإيرلندا (0.5 %). (Annuaire démographique 2006. Conseil de l'Europe).

وبصفة إجمالية وإذا حيّدنا عامل الهجرة فإن عدد السكان النشطين سيتراجع حسب التوقّعات كما يلي :

	2000 (بالمليون)	**2020 (بالمليون)**
ألمانيا	40	35
إيطاليا	25	21
فرنسا	26.3	25.5
إسبانيا	16.6	15.3
بريطانيا	29.5	28.5

المصدر : Conseil de l'Europe -

- Annuaire démographique-2004 ; - P. Drucker : une perspective du proche avenir

Ali_hamdy

ويتوازى التراجع الحادّ لنسبة تجدّد الأجيال مع تعمّق ظاهرة تهرّم المجتمعات الغربية حيث أنّ معدّل النسبة في الاتحاد الأوروبي للفئة العمرية 60 سنة فما فوق تقدّر بـــ 21.4 %. وستجّل أعلى النسب في إيطاليا بـــ 23.5 % وفي ألمانيا 22 % وفي فرنسا 21.3 %. وستبلغ هذه النسب 25 % في 2015 و35 % سنة 2040 (INSEE, 2007).

وتقدّر الإسقاطات أنّ الاتّحاد الأوروبي سيجّل عجزا في الشريحة العمرية 20–29 سنة في الفترة 2000–2020 بـــ 11 مليون فرد في حين أنّ الشريحة العمرية 50–64 سنة ستبلغ 16.5 مليون.

ونتيجة لهذه العوامل الديمغرافية تتّجه السياسات الاجتماعية في البلدان الصناعية إلى الترفيع في السنّ القانونية للإحالة على التقاعد والتخفيض في السنّ القانوينة للدخول إلى سوق الشغل.

وتفيد عديد التقارير أنّ هذه السياسات التعديلية لن تكفي ما لم تستعين بالهجرة.

وفي هذا الصّدد تقترح لجنة جاك أطّلي (Jacques ATTALI) حول النموّ استقدام 500.000 مهاجر سنويا إلى جانب تسوية وضعيات المهاجرين غير الشرعيين وكذلك إلغاء العقوبات على المشغّلين للعمّال غير القانونيين وذلك لتأمين حاجة فرنسا إلى اليد العاملة المهاجرة في أفق 2025 المقدّرة بـــ 7.5 مليون.

III. السياسات الجديدة في مجال الهجرة في الإتّحاد الأوروبي :

يتّجه الإتّحاد الأوروبي إلى اعتماد سياسة موحّدة ومنسّقة في مجال الهجرة تستند إلى ستّة مبادئ أساسية :

- استمرار الازدهار الاقتصادي عن طريق مساهمة الهجرة الشرعية بما يستجيب لحاجيات سوق الشغل ؛
- المحافظة على مستوى السكان النشطين ؛
- الحفاظ على توازنات الصناديق الاجتماعية بسبب تراجع السكّان النشطين وتوسّع فئة المسنّين ؛
- اعتماد نظام الحصص وربطها بالحاجيات الحقيقية ؛
- التضامن مع دول الجنوب المرسلة للعمالة ؛
- الحفاظ على الأمن الداخلي بمقاومة الهجرة غير الشرعية واعتماد سياسات حدودية موحّدة.

ويتمّ التركيز في هذه السياسة الإتّحادية على تلبية حاجيات سوق العمل الأوروبية الآنية والمستقبلية (في أفق 2020) وذلك باعتماد مبدإ "الهجرة المنتقاة" التي تنبني على :

1. استقدام الكفاءات العليا بهدف تعزيز تنافسية الاقتصاد الأوروبي وفقا لاستراتيجية لشبونة التي تهدف إلى جعل الاقتصاد الأوروبي الأعلى تنافسية في العالم. كما تنصّ هذه السياسة على إقرار الاعتراف بشهائد التعليم والمساواة في الأجور وظروف العمل مع المحليّين في نفس الدرجة وعلى حقّ التنقّل والعمل في مختلف بلدان الإتّحاد.
2. استقدام العمّال الموسميين لمجابهة العجز في اليد العاملة العادية الموسيمية مع مراعاة الخصائص الوطنية في بعض القطاعات وبعض المناطق.
3. تحديد الحاجيات القطاعية من اليد العاملة على مستوى كلّ بلد عضو في الاتّحاد الأوروبي. ويمثّل هذا التوجّه الجديد قاسما مشتركا عامّا مع بعض التمايزات.

<u>مثال فرنسا</u> :

شخّص مجلس التحليل الاستراتيجي في تقريره الصادر في سنة 2006 "آفاق المهن والمهارات" عجزا في اليد العاملة في سبعة عشر (17) مجالا :

- البناء والأشغال العامّة ؛
- الفندقة والمطاعم ؛
- الفلاحة والصيد البحري ؛
- الميكانيك ومهن التعدين ؛
- الكهرباء والإلكترونيك ؛
- الصيانة ؛
- المهن الهندسية ؛
- النقل واللوجستيك والسياحة ؛
- المهن الصناعية ؛
- مواد البناء ؛
- التصرّف وإدارة المؤسسات ؛
- الإعلامية ؛
- الدراسات والبحوث ؛
- البنوك والتأمينات ؛
- التجارة
- الخدمات الموجّهة للأفراد والجماعات العمومية ؛
- الصحّة والعمل الاجتماعي والثقافي والرياضي.

وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أنّ أغلب هذه المهن مفتوحة لمواطني دوّل الإتّحاد الأوروبي دون غيرهم. وعلى هذا الأساس فإنّ فرنسا حدّدت في سنة 2008 عجز اليد العاملة في 180 مهنة موزّعة إلى قائمتين :

- قائمة بـــ 150 مهنة مفتوحة لمواطني دوّل الإتّحاد الأوروبي المنتمية حديثا إلى الإتّحاد ؛
- قائمة بـــ 30 مهنة مفتوحة للبلدان من خارج الإتّحاد الأوروبي **دون أي تخصيص للدّول المنخرطة في مسار الشراكة الأورومتوسطيّة.**

ولتأمين هذه الحاجيّات تمّ :

– إقرار سياسة الحصص لاستقدام اليد العاملة الأجنبية بالتنسيق مع دول الاتّحاد ؛

Ali_hamdy

- عقد اتّفاقيات ثنائية مع بلدان الإرسال شملت إلى حدّ الآن : السنغال (2006/9/28) والغابون (2007/7/5) والكونغو (2007/10/25) والبنين (2007/11/28) وتونس (2008/4/28). وتجري المفاوضات حاليا مع مالي ومصر والفليبين.

وتمّ تشخيص هذه المهن في مجالات التجارة والإلكترونيك والإعلامية والبناء والأشغال العامّة والميكانيك والصيانة والنقل والسياحة والتصرّف، إلخ... كما تمّ توزيعها جهويا.

وهذه السياسات الجديدة في مجال الهجرة أفضت إلى اعتماد خـــارطة جديدة لبطاقات العمل :

الصنف الأوّل يتعلّق بهجرة العمل :

- بطاقة إقامة مؤقّتة عمل تحمل صفة "**أجير**" لمدّة سنة ؛
- بطاقة إقامة مؤقّتة عمل تحمل صفة "**عامل مؤقّت**" لمدّة تقلّ عن سنة ؛
- بطاقة إقامة مؤقّتة تحمل صفة "**عامل موسمي**" لمدّة 6 أشهر قابلة للتجديد (تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنّ الجالية الموسمية المغربية تمثّل 49 % والجالية البولونية 46 %، ولا تمثّل الجالية التونسية إلا 5 % من مجموع الموسميين) ؛
- بطاقة إقامة مؤقّتة تحمل صفة "**مهنة فنيّة وثقافية**" بعنوان أجير لمدّة سنة ؛
- بطاقة إقامة للمجموعة الأوروبية تحمل صفة "**كلّ الأنشطة المهنية**" بعنوان أجير ؛
- الرخصة المؤقّتة للعمل بعنوان "**أجير**" لمدّة أقصاها سنة.

الصنف الثاني يتعلّق بحقّ الإقامة والعمل للكفاءات العليا

- "**بطاقة مقيم**" لمدة 10 سنوات قابلة للتجديد ؛
- "بطاقة إقامة" تحمل صفة "**كفاءات ومواهب**" لمدّة 3 سنوات قابلة للتجديد ؛
- "بطاقة إقامة مؤقّتة" تحمل صفة "**العلمي**" لمدّة سنة قابلة للتجديد ؛
- "بطاقة إقامة مؤقّتة" تحمل صفة "**الحياة الشخصية والعائلية**" لمدّة سنة قابلة للتجديد وتمكّن صاحبها من ممارسة أي نشاط مهني.

المصدر : Agence Nationale d'accueil des Etrangers et des Migrants (ANAEM-2008)

Ali_hamdy

أمثلة أخرى من بلدان الإتّحاد الأوروبي وبعض البلدان المتقدّمة الأخرى :

البلـــد	أهمّ محدّدات سياسة الهجرة	المقاييس المعتمدة
ألمانيا	هجرة العمل (هجرة نوعية)	- الكفاءات والخبرات العالية جدّا (ليس هناك عجز في الكفاءات الوسيطة) ؛ - ليس هناك قائمات محدّدة.
إسبانيا	هجرة حسب الحاجيات	- اعتماد قائمات سنوية مفتوحة لغير الأوروبيين في مجالات البناء والنزل والنسيج والنقل، وصناعة الخشب والصناعات الغذائية والصيد البحري ؛ - اعتماد نظام الحصص (بلغ عدد المهاجرين في 2007 : 200.000 منهم 56.000 في إطار حصص لغير الأوروبيين).
بريطانيا	هجرة منتقاة	- ليس هناك نظام حصص ؛ - اعتماد نظام تقييمي بالنقاط (système à points) باعتبار معايير الشهادة العلمية والكفاءة المهنية واللغة...
كندا	هجرة مهنية	- المساهمة في النموّ الاقتصادي ؛ - إلغاء نظام القائمات وتعويضه بنظام يقيّم "الرأس المال البشري" للمترشّح للهجرة باعتبار : • مستوى الدراسة (25 نقطة) ؛ • مستوى اللغة (24 نقطة) ؛ • التجربة المهنية (21 نقطة) ؛ • العمر (10 نقاط) ؛ • المهنة المطلوبة (10 نقاط) ؛ • القدرة على التأقلم (10 نقاط).
استراليا	هجرة اقتصادية	- تأمين المصالح الاقتصادية والاجتماعية والبيئية على المدى البعيد ؛ - المساعدة على ضمان تنافسية أعلى للاقتصاد ؛ - اعتماد نظام الحصص حسب الحاجيات.

المصدر :DGTPE : L'immigration économique : analyse comparative, 2008

Ali_hamdy

IV. الانعكاسات غير المتكافئة لهجرة العمالة الماهرة في إطار الشراكة الأورومتوسطية :

1. الانعكاسات الإيجابية للهجرة على بلدان الاستقبال :

غيّرت العولمة عديد المفاهيم والمقاربات المتعلّقة بالتنمية، حيث تمّ إخضاعها لانتهاج للتحرّر الاقتصادي والاندماج في الاقتصاد العالمي والانضمام إلى منظّمة التجارة الدولية والانضمام إلى التكتّلات الاقتصادية الإقليمية وإحداث المناطق الحرّة وإقامة المناطق الصناعية المؤهّلة. وفي ظلّ هذه المفاهيم الجديدة أصبح ينظر إلى الهجرة بمواصفات العولمة **في إطار مقاربة جديدة مبنيّة على الانتقال من الليبرالية إلى الانتقائية.**

وترتكز السياسات الجديدة للهجرة في البلدان المتقدمة على ما يسمّى بـــ "المثلّث الذهبي : الجامعة والبحث والمؤسسة". وهذه المكوّنات أصبحت المحدّد الأساسي لاستقدام المهاجرين من هذه الكفاءات. وأصبحت البلدان المتقدمة تتسابق في استقطاب هذه الكفاءات المرشّحة للهجرة.

وتهدف هذه السياسات الجديدة خاصة إلى :

- تعويض كفاءاتها المهاجرة حيث أنّ حركة الهجرة أصبحت تشمل أيضا مواطني البلدان المتقدّمة في ما بينها. وبالتالي فإنّ أوروبا أصبحت هي أيضا تشهد "نزيف عقولها" إلى الولايات المتّحدة. وتشير المعطيات أنّ 3 % من الباحثين في فرنسا هاجروا إلى الولايات المتّحدة و150 ألف شاب هاجروا إلى بريطانيا للعمل ولإحداث المؤسسات. ويبرز الجدول الموالي حركية الهجرة في بعض البلدان المتقدّمة :

مواطنو بعض البلدان المتقدمة المقيمون بالخارج

البلد	عدد المهاجرين
اليابان	10.000.000
ألمانيا	4000.000
إيطاليا	6500.000
فرنسا	1784.000 (منهم 150.000 من العلميين والمهندسين في الولايات المتحدة وكندا)
سويسرا	800

المصدر : J.F.Poncet : la fuite des cerveaux, SENA, Rapport N°338 (1999-2000)

Ali_hamdy

- استقدام الكفاءات العليا واليد العاملة المؤهّلة وفق مبدأ الهجرة المنتقاة لتلبية حاجياتها الاقتصادية من الخبرات والمهارات.

فبالنسبة للولايات المتّحدة تشير بعض المصادر (Fondation RES-publica) أنّ ثلث المهاجرين متحصّلون على درجة الدكتوراه من بلدانهم الأصلية.

وبالنسبة لفرنسا فإن 40 % من مهاجري بلدان إفريقيا والمغرب العربي من مستوى التعليم العالي.

- المحافظة على التوازن المالي للصناديق الاجتماعية وخاصّة صناديق التقاعد. في فرنسا مثلا يقدّر الإنفاق على التقاعد بـــ 3 % من الناتج الإجمالي المحلّي. وبدون العمالة الأجنبية يرتفع هذا المعدّل إلى 4.3 % من الناتج وفق تقرير برلماني فرنسي صادر في ماي 2011.

2. الانعكاسات السلبيّة للهجرة في منظور بلدان الإرسال : من خيار العودة إلى خيار الشتات :

1.2 تراجع خيار العودة :

بالرّغم من أنّ هجرة العمالة المؤقّتة من بلدان الإرسال تخفّف من وطأة البطالة، فإنّ هذه البلدان استشعرت سلبياتها منذ بدايات الاستقلال حيث كانت الهجرة في الستينات والسبعينات تطرح من جانب الدولة المرسلة بمفردات إيديولوجية تختزل في مقولة نزيف العقول (Brain drain) والتي تشير إلى استغلال الشمال للرأس المال البشري لبلدان الجنوب. وكان إذن لا بدّ من معالجة هذه الظاهرة من خلال سياسات وطنية تحدّ منها باعتبار أنّ المهاجرين وخاصة الأكفّاء منهم يمثّلون رصيدا بشريا ضروريا للتنمية الوطنية. وللمحافظة على هذا الرأس المال البشري اعتمدت عديد بلدان الإرسال سياسات لتقليص الهجرة ووضع حوافز للتشجيع على العودة إلى الوطن الأمّ. ولكن هذه السياسات فشلت في العديد من البلدان لأنّ مثل هذا التوجّه يتطلّب استثمارات إضافية في البنية الأساسية ووضع برامج خصوصية مكلفة لضمان العودة، وهو ما ليس في متناول الدول. وإضافة إلى ذلك فإنّ هؤلاء المهاجرين الذين بنوا مستقبلهم ومشاريعهم المهنية في بلد الاستقبال لا يرغبون في

العودة مهما توفّرت لهم من امتيازات، غير أنّهم مازالوا مرتبطين ببلدهم الأصلي بحكم الروابط العائلية والثقافية، إلخ...

2.2 محدودية العائد من خيار الشتات :

أمام تقلّص خيار عودة المهاجرين إلى الوطن الأمّ مهما توفّرت لهم من امتيازات ظهرت في نهاية الثمانينات مقاربة جديدة تطوّرت تدريجيا في بلدان الإرسال وتنطلق هذه المقاربة الجديدة من تمتين الروابط مع المهاجرين وحثّهم على المساهمة عن بعد في تطوير بلدهم عن طريق تشريكهم في مشاريع الاستثمار ومشاريع البحث والتطوير والتدريس، إلخ... فالأمر هنا لا يتعلّق باستثمارات إضافية بل بالسياسات والتنظيم لتعبئة هذه الموارد في الشتات وتوظيف خبراتها الشخصية وعلاقاتها المهنية والاجتماعية.

وهذه النظرة الجديدة يعني الانتقال من نظرية "نزيف العقول المهاجرة" (Brain drain) إلى نظرية "الاستفادة من العقول المهاجرة" (Brain gain). وتستوجب هذه المقاربة تنظيم الشتات العلمي والتقني في شبكات تربطهم بالوطن الأمّ. وقد أصبحت هذه الشبكات قاعدة متقدّمة للاقتصاديات الوطنية في بلدان المهجر تلعب دورا هاما في اليقظة الاقتصادية والتكنولوجية، ونقل المعارف والتكنولوجيا.

ويوجد حاليا على مستوى العالم 41 شبكة للمهاجرين في 29 دولة متكوّنة من أصحاب الأعمال والكفاءات المهنية العليا والمهندسين والجامعيين والباحثين مندمجين في مشاريع وطنية تنموية وصناعية ومشاريع البحث والتطوير وخدمات الاستشارة والدراسات الجامعية وتنظيم الندوات العلمية وحلقات التكوين في التكنولوجيا ومشاريع التعاون العلمي والتقني.
وقد مثّلت هذه الشبكات عاملا أساسيا في تسريع وتيرة النموّ الاقتصادي والتكنولوجي وخاصة في بلدان شرق آسيا وبعض بلدان أمريكا اللاتينية.

ويمكن تصنيف هذه الشبكات كالتالي :

- شبكات مهاجرين من ذوي الكفاءات المهنية العالية ورجال الأعمال ؛
- شبكات خبراء ومهندسين في نقل التكنولوجيا ؛
- شبكة أكاديميين وباحثين وطلبة ؛
- شبكة مثقّفين.

Ali_hamdy

ومن أهمّ ما يشار إليه في هذا المجال ما يلي :

أوّلا : أغلب هذه الشبكات توجد في البلدان الآسيوية ومنها :

- الصين :
  - شبكة الطلبة والأكاديميين الصينيين بالخارج ؛
  - الجمعية البيو/علمية الصينية في أمريكا الشمالية ؛
  - الجمعية الصينية/الأمريكية للمهندسين والعلميين.

- الهنـــد :
  - الشبكة الهندية العالمية لجمعيات المهنيين الهنود في سلكون فالي ؛
  - الجمعية العالمية للعلميين والمهندسين والتكنولوجيين الهنود ؛
  - الشبكة الهندية للعلميين والتكنولوجيين للهنود غير المقيمين.

- كوريا :
  - الجمعية الكورية للمهندسين والعلميين في أمريكا ؛
  - الشبكة العالمية الكورية ؛

- تايلندا :
  - البرنامج التايلندي للعقول المهاجرة ؛
  - الجمعية التايلندية للكفاءات في أمريكا الشمالية ؛
  - الجمعية التايلندية للكفاءات في أوروبا ؛
  - الجمعية التايلندية للكفاءات في اليابان.

- كولمبيا :
  - الشبكة الكولمبية للباحثين والمهندسين في الخارج المعروف بشبكة Caldas.

- أمريكا اللاتينية :
  - الجمعية الأمريكية اللاتينية للعلميين.

ثانيا : لا توجد من بين قائمة شبكات الكفاءات المهاجرة في العالم العربي إلاّ :

- تونس :
  - الجمعية التونسية للعلميين بالخارج.
- المغرب :
  - الجمعية المغربية للباحثين والطلبة بالخارج.
- المنطقة العربية :
  - شبكة العلميين والتكنولوجيين العرب بالخارج.

المصدر : J.B. Meyer : Les diasporas scientifiques : Nouvel approche de la fuite des cerveaux. Unesco 2005

3. الانعكاسات السّلبية للهجرة إلى أوروبا على التنمية في بلدان الإرسال :

- تراجع التحويلات المالية :

غالبا ما يتمّ التركيز في التقارير الغربية عند تناول موضوع الهجرة على التحويلات المالية للعمّال المهاجرين. هذا الطّرح لم يعُدْ ذا مصداقية كبيرة باعتبار أنّ هذه الهجرة لم تعد كما كانت هجرة عمالة مؤقّتة وهجرة اقتصادية بحثا عن العمل لفترة محدّدة بل أصبحت هجرة استقرار. وقد نتج عن ذلك الحاجة إلى تحسين ظروف العيش واقتناء سكن لائق وسيارة والإنفاق المدرسي على الأطفال وفي عديد الأحيان إقامة مشاريع. هذا المشروع الحياتي في بلد الإقامة يقلّل بالضرورة من تحويل الأموال وبالتالي المساهمة في تمويل التنمية في بلدان الإرسال. هذا بالإضافة إلى تراجع تحويلات المهاجرين العرب بـــ 6 % سنة 2010 بسبب تداعيات الأزمة المالية.

- إنّ العمالة الماهرة المهاجرة تمثّل خسارة فادحة لدولة الإرسال باعتبار أنّ الوطن الأمّ لم يستفد من موارد بشرية مؤهّلة أنفق عليها من المال العام قرابة العشرين سنة.
- إنّ الهجرة المنتقاة للكفاءات العليا تمثّل هي أيضا خسارة فادحة للتنمية في بلد الإرسال باعتبار أن هذه الهجرة المنتقاة تتخيّر أفضل الخبرات ممّا يحرم التنمية في الوطن الأمّ من كفاءات هي أحوج ما تكون إليها.
- ولتجنّب هذه السلبيّات، لا بدّ من الإقتناع في بلدان الإرسال بتغيّر حركيّة عوامل الإنتاج بحيث أصبح رأس المال هو الذي يتنقّل إلى حيث توجد اليد العاملة الماهرة، وليس اليد العاملة.

Ali_hamdy

V. الانعكاسات السلبية الأخرى لاتّفاقيات الشراكة الأورومتوسطيّة على مستوى التنمية :

انخرطت الدّول العربية العشرة المشاطئة للمتوسط تدريجيا منذ "إعـــلان برشـــلونة" لســـنة 1995 في الفضاء الأوروبي المتوسطي. وقد تمّ توقيع اتّفاقيات الشراكة هذه بصفة منفـــردة (وفي بعض الحالات عن مضض) مع الاتحاد الأوروبي كمجموعة واحدة متماسكة، وذلـــك كالتالي :

البلدان العربية المصدّقة على اتّفاقيات الشراكة مع الاتّحاد الأوروبي

البلد	التوقيع	دخول الاتّفاقية حيّز التنفيذ
– تونس :	1995/7/17	1998/3/1
– المغرب :	1996/2/26	2000/3/1
– السلطة الفلسطينية :	1997/7/1	1997/7/1
– الأردن :	1997/10/24	2002/5/1
– لبنان :	2002/6/17	2003/3/1
– مصر :	2001/6/25	2004/6/1
– ليبيا :	عضو ملاحظ منذ 1999	
– سوريا :	2004/10/19	بصدد التصديق
– الجزائر :	2002	2005/9/1
يضاف إلى ذلك :		
– إسرائيل :	1995/11	2000/6
– تركيا :	1995/12/31	

ويشمل مشروع الشراكة ثلاثة محاور كبرى :

- المحور السياسي والأمني الذي يهدف إلى جعل الفضـــاء الأورومتوسّـــطي "فضـــاء مشتركا للسّلم والاستقرار" ؛
- المحور الاقصادي والمالي الذي يهدف إلى جعل هـــذا الفضـــاء "منطقـــة ازدهـــار متضامنة" ؛

Ali_hamdy

- المحور الاجتماعي والثقافي والبشري الذي يهدف إلى تطـــوير المـــوارد البشـــرية وتيسير التقارب بين الثقافات والتبادل بين المجتمعات المدنية.

وبصرف النظر عن التحفّظات على بعض الخلفيات السياسية للشـــراكة الأورومتوســـطية وبالتركيز فقط على الجوانب الاقتصادية فإنّ النتائج المسجّلة بعد أكثر من خمسة عشرة سنة من بداية هذا المسار تبدو متواضعة بل ربّما أسوأ ممّا كان عليه الوضع سابقا بحيث تشـــير عديد التقارير إلى محدودية نتائج هذه الشراكة بل إلى خيبة الأمل. والمؤشّر التأليفي الأكثر دلالة على ذلك ضـــعف مؤشّـــرات الالتحـــاق (critères de convergence) بالاتحـــاد الأوروبي علما وأنّ الهدف الأساسي من مسار برشلونة هو جعل المتوسّط منطقة ازدهـــار مشترك.

ومن تجليات محدودية هذه النتائج ما يلي :

1. على المستوى الإجمالي :

تراجع نصيب البلدان العربية المتوسطية الشريكة في مسار برشلونة من السوق الأوروبيـــة على مستوى الصادرات الجملية لفائدة دول شرق ووسط أوروبا منذ سقوط جدار برلين عام 1989.

فقد بلغ نصيب هذه البلدان من السوق الأوروبية 8.5 % سنة 2008 مقـــابل 2.1 % فقـــط سنة 1989، في حين تراجع نصيب البلدان العربية لجنوب وشرق المتـــــوسط مـــن 6 % سنة 1990 إلى 5.4 % سنة 2008.

وبالرغم من أنّ دول شرق ووسط أوروبا لا تمسح إلاّ خمس مساحة بلدان المغرب العربي (و45 % من مساحة الجزائر) وإنّ عدد سكّانها لا يتجاوز 105 مليون نسمة مقابـــل 193 مليون لبلدان جنوب وشرق المتوسّط العربية المندمجة في مسار برشلونة، وبـــالرغم مـــن تزايد حجم سكان البلدان العربية لجنوب وشرق المتوسّط الذي ستبلغ في أفق 2015، 230 مليون نسمة وتراجع حجم سكان بلدان شرق ووسط أوروبا إلى 101 مليون نسمة في نفس الفترة، فإنّ هناك **مفعول إقصاء** (effet d'éviction) واضح لبلدان جنوب وشرق المتوسّط لفائدة شرق ووسط أوروبا.

وإنّ هذه المنافسة القوية بين المجموعتين ستؤدّي إلى تهميش بلدان جنوب وشرق المتوسّط.

2. على المستوى النوعي :

تراجعت حصّة الصادرات الصناعية لبلدان جنوب المتوسط العربية نحو أوروبا حيث أن هيكلة الصادرات في الاتّحاد الأوروبي تميل بوضوح لفائدة بلدان شرق ووسط أوروبا حيث بلغت الصادرات الصناعية لهذه البلدان والموجّهة إلى السوق الأوروبية 77 %، في حين أنّها لا تتجاوز 30 % بالنسبة لبلدان جنوب وشرق المتوسط باستثناء إسرائيل.

وممّا يؤكّد محدودية نتائج مسارات الشراكة الأورومتوسطيّة أن التجمّعات الإقليمية الأخرى سجّلت نتائج كبيرة. فقد تمكّنت المكسيك من خلال اتفاقية أمريكا الشمالية المعروفة اختصارا بـ ALENA أو NAFTA من مضاعفة حصّتها في السوق الأمريكية حيث ارتفعت من أقل من 10 % قبل الاتّفاقية إلى 26 % بعدها.

3. على المستوى القطاعي :

في ضوء عدم التكامل بين الدول العربية الشريكة في مسار برشلونة، يشير بعض الخبراء إلى أنّ خسارة قطاع النسيج في مصر والأردن وتونس والمغرب تراجعت حصّته في السوق الأوروبية بين 22 و40 %.

4. على مستوى الاستثمارات الأجنبية الأوروبية :

يتجلّى مفعول الإقصاء أيضا من خلال الحجم المتواضع للإستثمارات الأوروبية في بلدان جنوب المتوسط العربية. فبحكم المنافسة مع بلدان شرق ووسط أوروبا وكذلك بحكم توجّه الاتّحاد الأوروبي إلى خاصرته الشرقية وكذلك بحكم التدافع للاستثمار في آسيا والصّين على وجه الخصوص، تراجعت بشكل ملحوظ حصّة البلدان العربية المشاطئة للمتوسّط من الاستثمارات الأوروبية إلى 48 %. وتتقلّص هذه النسبة إلى 18 % إذا استثنينا إسرائيل لفائدة دول شرق ووسط أوروبا التي أصبحت تستقطب 107 أضعاف ما تستقطبه مجموعة الدول العربية المشاطئة للمتوسط.

Ali_hamdy

5. على مستوى التكامل جنوب/جنوب :

من أهداف مسار برشلونة تقوية التكامل بين بلدان جنوب المتوسّط المنخرطة في هذا المسار. إلاّ أن حصيلة الخمسة عشرة سنة تبيّن العكس تماما (L.Giacomo, 2010) حيث أفرز هذا المسار تغيير إتّجاه التجارة البينية من تجارة أفقية جنوب/جنوب إلى تجارة عمودية جنوب/شمال (phénomène de détournement). وهذا عامل جديد يعيق التكامل بين الأقطار العربية بحيث يمثّل مسار الشراكة الأورومتوسطيّة بديلا للتكامل الاقتصادي العربي.

Ali_hamdy

المراجع

1. Annuaire démographique, 2004, Paris
2. citoyenneté et immigration - canada, rapport 2012
3. DGPT, l'Immigration économique", analyse comparative, 2008
4. Eurostat, 2011 et 2009
5. Haut conseil de l'Immigration : Rapport statistique 2004 - 2009
6. Hamdi Ali :

    - "Les jeunes issus de l'immigration :" le cas des jeunes maghrébins en France, Revue des études internationales, n°27 - 1988 Tunis.
    - "Problématique de la migration, Revue des études internationales, n°26 - 1988 Tunis.
    - "L'Immigration maghrébine en France : malaise dans l'identification", Revue des études internationales, n°36 - 1990 Tunis.

7. INSEE, 2011
8. Poncet, J-F: La fuite des cerveaux, SENA, Rapport n°338 (1999-2000)